

المجتمع القرطاجي "دراسة في نظمه ومظاهره"

The Carthaginian community "study in its systems and "manifestations

ط.د. محمد العيد تلي¹، أ.د. محمد رشدي جراية²

¹مخبر بحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بجامعة الوادي، telli-m-laid@univ-eloued.dz

²مخبر بحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بجامعة الوادي، Med.rouchdi@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2021/03/13 ؛ تاريخ القبول : 2021/04/12 ؛ تاريخ النشر : 2021/06/07

Abstract

The study of Carthaginian society in terms of its conditions and dealing with its systems and manifestations involves a lot of ambiguity, and it is beset with difficulties in most of its aspects. The city of Carthage was destroyed and its documents were lost or rather correct, in addition to that the help that can be provided by archeology is limited, and the information that came in the sources The classic "Greek and Latin" was dominated by the military aspect. As for society, information is scarce, dispersed and unorganized, full of gaps, and it is tinged with much prejudice and prejudice against the Carthaginian individual, and with all that we have endeavored to deal with the scientific material that we reached with the aim of arranging it according to a sequence Through it, we can draw the features of the Carthaginian society in terms of appearances and conditions, and reach a conclusion that the Carthaginian society is urban and lives in the vicinity of the city.

Keywords: Carthage; Community layers; citizenship; ornament; women; baby.

المخلص

تنطوي دراسة المجتمع القرطاجي من حيث أحواله والتطرق لنظمه و مظاهره على الكثير من الغموض، كما تكتنفها صعوبات في معظم جوانبها، فمدينة قرطاجة دمرت ووثائقها ضاعت أو بالأحرى محقت، فضلا على أن العون الذي يمكن أن يقدمه علم الآثار محدود، وما جاء من معلومات في المصادر الكلاسيكية "الإغريقية واللاتينية" غلب عليها الجانب العسكري، أما ما يخص المجتمع فالمعلومات شحيحة ومتفرقة وغير منظمة، وملبئة بالفجوات، كما أنها مشوبة بكثير من التحني والتحامل على الفرد القرطاجي، ومع كل ذلك اجتهدنا في التعامل مع المادة العلمية التي توصلنا إليها بهدف ترتيبها وفق تسلسل تاريخي منطقي، نستطيع من خلالها رسم ملامح المجتمع القرطاجي من حيث المظاهر والأحوال، والتوصل إلى نتيجة مفادها أن المجتمع القرطاجي حضري يعيش في محيط تفرزه المدينة.

الكلمات المفتاحية : قرطاج؛ طبقات المجتمع؛ المواطنة؛ الزينة؛ المرأة؛ الطفل.

*المؤلف المراسل.

مقدمة:

تعد الحياة الاجتماعية أحد الجوانب الهامة في تاريخ وحياة الحضارة القرطاجية، ولهذا وجدنا أنها من الأهمية بمكان للإشارة إليها وتناولها بالدراسة، رغم أن البحث في المجتمع القرطاجي والوقوف على أحواله ومظاهره، لا يعد أمرا سهلا في ظل ندرة الدليل الأثري، مع صمت المصادر الكلاسيكية "الإغريقية واللاتينية"، عن تناول هذا الجانب المهم في حضارة قرطاج، يضاف إلى ذلك غياب الوثائق القرطاجية التي تتناول تلك الجوانب، بسبب تدمير العاصمة القرطاجية من قبل الرومان "146 ق.م".

على الباحث الذي يريد معرفة الملامح التفصيلية للمجتمع القرطاجي، بذل الجهد والعمل على دراسة التاريخ السياسي والاقتصادي والديني والثقافي بشكل مستفيض، بهدف الوصول إلى معلومات تبين ملامح و نظام هذا المجتمع، ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذه الدراسة في محاولة منا للوصول لبعض المعلومات، التي تتعلق بالحياة الاجتماعية في قرطاج متبعين في تحرير هذه الورقة البحثية المنهج التاريخي الوصفي وكذلك التحليلي في بعض جوانب الموضوع، في محاولة منا الإجابة على التساؤلات التالية:

*- كيف كانت التركيبة الاجتماعية في قرطاج وأهم طبقاتها؟

*- ماهي شروط المواطنة؟

*- هل كانت هناك خصائص تميز الفرد القرطاجي من حيث المظهر والزينة واللباس؟

*- كيف كانت وضعية المرأة والطفل؟

1.I- التركيبة الاجتماعية:

أ- طبقة الأحرار:

وهم سكان المدينة العاملون على تسييرها سياسيا وإداريا، اقتصاديا ودينيا، كل حسب وضعيته وممتلكاته، ويمكننا تقسيمهم وفق المبدأ التالي:

الفئة الأولى الأثرياء:

ذوي النفوذ والجاه والمال، وكبار التجار وأصحاب العقارات في المدينة والريف ومن أهم الأسر التي مثلت هذه الطبقة أسرة ماغون "Magon" و أسرة حنون "Hannon" وأسرة برقة "Barca". (فنطر، 2007، ص72)، وكانت هذه الفئة تمثل كبار أعوان الدولة الذين يشتغلون وظائف سياسية مدنية وعسكرية أو دينية، ونلاحظ هذا بوضوح من خلال النقوش الجنائزية، حيث نجد في هذه النقوش أسماء الأسلاف ووظائفهم، ومن ذلك جاء في أحد هذه النقوش ما يلي: "قبر بت بعل رب الكهنة بنت عبد ملقرت الرب ابن ماغون ابن بد عشرت القاضي ابن أدن القاضي ابن عز ملك القاضي". (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص ص 256-257).

نلاحظ في هذا النقش امتدادا لوظيفة سياسية عليا وهي القاضي وأخرى دينية وهي رب الكهنة، وذلك في عائلة واحدة، ومعنى ذلك يمكن اختزال التاريخ السياسي في قرطاج في سلطة العائلات الأرستقراطية، كما أن هذه الفئة جمعت بالإضافة إلى الوظيفتين السياسية والدينية لقب الرب، وقد اختلف المؤرخون في تفسير كلمة الرب، البعض يرى أنها تعني ممثل مؤسسة سياسية عليا أو رئيس مجلس، والبعض الآخر يرى أنها مجرد لقب شرفي. (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص ص 257-258).

وتذهب بعض الدراسات لاعتبار أن هذه الطبقة كانت مفتوحة لكل فرد يبلغ مستوى معين من الثروة، ويؤكدون على صحة رأيهم من خلال نقوش المقابر، حيث نجد في سلسلة الأنساب أن المتوفى قد حصل على وظيفة سياسية أو دينية لم يبلغها أسلافه. (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص 261).

الفئة الثانية الحرفيون:

أصحاب الصناعات الكبرى والصناعات الفخارة والمطلوبة في الداخل والخارج، ويبدو أنهم كانوا فخرين بحرفهم حتى توصل الأمر ببعضهم بتدوينها على الأنصاب التي يقدمونها قربانا للآلهة. (فنطر، 2007، ص72).

وفي محاولة للتعرف على المهن التي كانت تميز هذه الفئة بشكل كبير، نلاحظ من خلال النقوش على المقابر وجود وظائف الكهنة، كما نلاحظ ذكر التجار بطريقتين مختلفتين هما التجار الصغار، وهؤلاء ينسبون إلى تجارتهم مثل تجار المعادن والعطور والذهب والقماش،

أما التجار الكبار فإنهم يتعاملون في التصدير والتوريد. (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص262).

نجد كذلك مهنة القائم بالأعمال أو المشرف على الحرفيين ونجد السباك وهي محددة حسب نوع مادة السبك مثل سبك الحديد أو البرونز أو الذهب، كذلك نجد مهنة الصانع، والنجار، وهؤلاء كان عملهم الأساسي في بناء السفن، وهناك أيضا الحمالون والصاغة والفخاريون والمشرفون على الأفران. (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص262).

ومن الفئة المهنية عنصر الكتبة ، وهؤلاء من المرجح اعتبارهم عنصر على ذمة الدولة أو الإدارة، ولاشك أن فئة الحرفيون كانت ذات أهمية بالغة في قرطاج. (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص262).

الفئة الثالثة العمالة:

وتشمل الفئات الضعيفة التي لا تمتلك سوى قوة عضلاتها وهم الأكثر عددا والأقل حظا في تقاسم الثروة ، ويعملون أجراء لدى الأثرياء في البحر والمزارع والمصانع والمقالع الحجرية والمناجم ، كما يساعدون الحرفيين المختصين على أنهم قد ينظمون إلى فئة الحرفيين في الظروف الاستثنائية ، فتزداد قوة ونفوذا في الظروف المتأزمة. (فنطر، 2007، ص72).

ب- طبقة الأجانب:

يوجد بقرطاج جاليات أجنبية مختلفة من إغريق ومصريين وأتروسكيين وإيريين وغيرهم كثيرون ، فضلا عن اللوبيون الذين كانوا يغادرون قراهم وأريافهم متجهين للعاصمة قرطاج التي تغريهم بما توفره لهم من سبل حياة. وفي الغالب جاءت الجاليات الأجنبية لقرطاج أما طلبا للعمل أو نزوحا قسريا من بلدانهم، شبيها بما أصبح يعرف اليوم بالهجرة السياسي، وقد يطول مقام هذا العنصر فينصهر في إحدى طبقات العنصر الأول. (فنطر، 2007، ص73).

وكانت حرية العبادة مكفولة للأجانب يؤيد ذلك العثور في قرطاج على بقايا معابد تخص عبادات أجنبية إغريقية ومصرية وغيرها. (الميار، 2001، ص162).

ونجد بعض أسماء الجاليات المصرية في النقوش التي تم العثور عليها مثل عبد رع وعبد أوزريس ، وعلى الرغم من أهمية التأثير المصري في الميدان الحرفي والفني ، إلا أننا لا نستطيع تحديد أصول هذه العائلات و أنسابها (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص ص263-264)

وحدير بالذكر أن بعثة رسمية من قرطاج مثلت أمام الإسكندر الأكبر " Alexandre le Grand " بابل ، كانت تضم عدد من الفينيقيين- اللبيين و فينيقي سردينا وإسبانيا. (Justin,1853, XII,13.1).

كما لا يخفى أن الحكومة القرطاجية كانت تستعين برجال حرب إغريق لتدريب جندها ، وتذكر المصادر القديمة من أولئك الضباط إكزانتيبوس "Xanthipus" الإسرطي الذي تولى تدريب جند قرطاج لمواجهة غزو القنصل الروماني ريغولوس "Regulus" عام "256 ق.م" ، كما شغل بعض الإغريق مناصب عليا في الدولة منهم على سبيل المثال موريوند "Moribund" الذي كان عضوا في مجلس الشيوخ القرطاجي ، وبوستار "Bostar" الذي شغل منصب مفتش عام في جهاز الأمن بقرطاج إبان حملة حنبعل برقة " Hanibal Barc " على إيطاليا. (صفا، 1987، ص ص 330-331).

ومع وقوع بعض القلاقل بالدولة كانت حكومة قرطاج قد اتجهت من فورها إلى إصدارها أوامر بمنع المواطنين من تعلم اللغة الإغريقية ، وذلك لشكوكها بأن تعلم هذه اللغة كان يسهل على بعض الأشراف المناوئين للحكومة الاتصال بالزعامات والقيادات الإغريقية في صقلية من باب التآمر. (بريس، ص 248).

وتشير الدراسات إلى ضابطين كانا في جيش حنبعل "Hanibal" نزع أبوهما إلى قرطاج من سيراكوزة وتوطن بها وتزوج قرطاجية وأنجبت أولاد وانصهرت أسرته في نسيج المجتمع القرطاجي. (فنطر، 2007، ص 73).

ج- طبقة العبيد:

اعتمد المجتمع القرطاجي على نظام الرق شأنه في ذلك شأن المجتمعات القديمة الأخرى ، فكان للدولة عبيدها، كما كان للفرد القرطاجي عبدا ذكورا وإناث يمتلكهم بحسب مستوى ثروته وحاجياته إليهم، وكان هؤلاء يساعدون أصحاب الأعمال ويلحق المحظوظون منهم بالبيوت خدمة للأسرة، ولم ينزع هذا النظام عن العبد حقوقه في الزواج والقيام بواجبه الدينية، وله الحق في الملكية الأمر الذي يمكنه من استرجاع حريته نقدا فيدخل في زمرة المعتوقين ، ولقد اعتنت الدولة القرطاجية بقضايا الرق والعرق فكان الانتقال من وضعية لأخرى يتم وفقا لمقتضيات القانون. (فنطر، 2007، ص 73).

ويعمد الكاتب المسرحي اللاتيني بلاوتوس "Plautus"، هذا الحق الذي لم يكن يتوفر للعبيد إلا في بلاد الإغريق وقرطاج. (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص ص260-261)، كما يذكر لنا المؤرخ الإغريقي أبيان "Appian" في أحد رواياته حالات العتق الجماعي للعبيد وتجنيدهم للدفاع على المدينة عند بداية الحرب البونية الثالثة "146-149 ق.م.". (Appian, 1996, VIII, 91, 93).

ونلاحظ أن ماغون عالم الزراعة يركز على أهمية هذه الطبقة في مجال الزراعة. (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص ص261)، والمصادر الأدبية تؤكد وجود عدد كبير من العبيد كانوا يعملون في هذا القطاع لاسيما في الوطن القبلي "كركون"، ويذكر لنا المؤرخ اللاتيني جوستين "Justin" أن حنون الأكبر "Hanon the Graet" قام بتجميع وتجنيد عشرين ألفا من العبيد عندما حاول الاستيلاء على السلطة (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص ص260).

ويجب أن نشير إلى أن عملية الاستعباد كانت متمثلة في أسرى الحروب والقرصنة ، يضاف إلى ذلك أسواق العبيد الذي يرتادها القرطاجيون في جزر البليار (فنطر، 2007، ص ص73).

وليس في هذا التقسيم غرابة ذلك أن المادة سيطرت على عقول الفينيقيين عامة، مما جعلها القاعدة الثابتة في تنظيمهم الاجتماعي، ومن أجل الحفاظ على الثروة والمستوى المادي حرص أولى الأمر البحث على ذوي الكفاءة، لأنهم وحدهم القادرين على تحقيق الرخاء المادي، وإذا ميز الفينيقيون بين الطبقات الاجتماعية كان تميزهم ماديا، فالنبيل هو الشري والنشيط معا، ومن تيسر حاله أنفتح أمامه طريق الوصول إلى الطبقة العليا وطريق مجلس الشيوخ، ويعد ذلك أعلى درجات الديمقراطية. (عبد الساتر، 1993، ص ص126).

I.2- المواطنة:

تبقى معلوماتنا عن المواطنة القرطاجية وشروط منحها معلومات قليلة وغير وافية، ويبدو أن المواطنة نظريا كانت من حق كل من تحدر من أبوين قرطاجيين، ومحرمة على العبيد والمعتوقين.

وفي القرن السابع قبل الميلاد وبعد دمار صيدا وخضوع صور لسلطة الأشورية، قدم الكثير من الفينيقيين إلى قرطاج للاستقرار بها، ولقد تمتع هؤلاء القادمون الجدد بالحقوق

المدنية والسياسية بسهولة (ديكريه، 1996، ص78). كما تمتع بها الأجانب الذين أقاموا في المدينة بصفتهم سكانا أحرارا وذلك مقابل الخدمات التي أدوها للدولة كجنود في جيشها بشكل خاص (Motley, 1969, p59).

وهناك من يرى أن المواطنة القرطاجية كانت مقتصرة على القرطاجيين ذوي الأصل الفينيقي، وأنها كانت ممنوعة على الحلفاء حتى ولو كانوا من نفس الأصل، وكان هذا يعد عيبا خطيرا في نظام الحكم القرطاجي عانت قرطاج منه كثيرا، لا سيما من قبل اللوبيين والإيبيريين الأحرار والخاضعين لإدارة قرطاج أحيانا يطلق عليهم نصف أحرار أو شبه أحرار، وهؤلاء يمثلون مختلف شعوب الإمبراطورية القرطاجية. (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص258-259).

كان هؤلاء يوفرون لقرطاج احتياجاتها الرئيسية من الحبوب، ومن المرجح أن قرطاج تعاملت معهم على مبدأ المتحكم في الملكية السامية للأرض، وذلك حتى يضمنوا تواصل الانتاج من جهة وحتى يستطيعوا تغيير مقدار الضرائب عند الحاجة من جهة أخرى، وهذا كان أحد الأسباب التي جعلت اللوبيين يثورون ضد قرطاج من حين لآخر، وذلك بسبب وطأة علاقات الهيمنة المفروضة عليهم، كما أن الإيبيريين كان لهم رد فعل مناهض لقرطاج أثناء الحرب البونية الثانية "201-218 ق.م" وانضموا إلى روما. (بورونية؛ و طاهر، 1999، صص 259-260)

ومن الجدير بالذكر، أن حنبعل البرقي حاول حل هذه المشكلة الخطيرة، لكنه فشل في ذلك بسبب الأوضاع السياسية في قرطاج في ذلك الوقت. (Picard, 1961, p63)

3.I- الصفات المميزة للمجتمع القرطاجي:

عانى المجتمع القرطاجي كثيرا من كراهية وحقد الشعوب الأخرى بسبب المنافسة التي جلبت العداوة بين الطرفين، وبلغت الكراهية حدا مقبوتا لدرجة أن كثيرا من الكتاب الإغريق واللاتين القدامى بالغوا في ذكر الروايات التي من شأنها تشويه صورة ذلك المجتمع، لذلك وجب توخي الحرص والحذر عند الاعتماد على كتابتهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء عند المؤرخ الاغريقي بلوتارخوس "Plutarch" في وصف الشعب القرطاجي فيقول: "عن هذا الشعب تغلب عليه الخشونة، نكد المزاج، يخضع لمن يحكمه، يستعبد الشعوب التي يحكمها، يصبح أكثر تواضعا عندما يشعر بالخوف، أما حينما يثور فإنه يتحول إلى شعب شرس، وهو شعب

حازم في قراراته، وقد أدت صراحته إلى ابتعاده عن الدعابة والمزاح". (ديكويه، 1996، ص111).

ويرى ديكويه أن هذه الصورة التي رسمها بلوتارخوس صورة قائمة للغاية، لكنها طبيعية نتيجة للعداء الشديد الذي كان بين الإغريق والقرطاجيين، وبالتالي فليس من المتوقع أبدا أن يمدح الإغريق الشعب القرطاجي الذي حرمهم من التوغل في البحار عدة قرون. (ديكويه، 1996، ص111)

كان القرطاجيون عامة قصير القامة نسبيا، فمتوسط طول الرجل منهم كان "1.63 م"، والمرأة "1.57 م" (تسركين، 1988، ص67)، كما أن الهياكل العظمية المكتشفة في قرطاج كانت تتميز عامة بالنحافة الشديدة والوجوه القصيرة. (Picard, 1961, p129).

والفرد القرطاجي متدين بطبعه، يبدأ يومه بالصلاة، ثم التوجه إلى عمله، وكانت الصلاة ثلاث مرات، الضحى والظهر والغروب، وهي صلاة بدون مواكب ولا جماعة ولا أضاحي، بل الصلاة هي بنحوى وإيمان ذاتي وفردية، والقرطاجي يصلي في أي مكان في بيته، في متجره إلى غير ذلك، بصمت وتأمل قوي. (خير الله، 1992، ص ص89-91).

لقد اعتمد القرطاجيون على الحبوب وزيت الزيتون في غذائهم بشكل أساسي، مثل بقية شعوب البحر المتوسط، وكانوا يصنعون نوعا من العصيدة تسمى "puls punica"، وكان الحلوانيون بقرطاج يتمتعون بشهرة كبيرة فكانوا يشكلون أعمالهم في قوالب من الفخار لها أشكال مختلفة مثل الأسماك والحيوانات أو حتى على شكل رجل على ظهر حصان، وكانوا يزرعون نوع قوي من الثوم استخدموه لدرجة الإفراط، وكانت أكثر الخضروات انتشارا عندهم الكرنب، والحمص، والخرشوف، ومثل أغلب الساميين لم يأكلوا لحم الخنزير ولكن يأكلون لحم الكلاب، وهي عادة استنكرتها عليهم الشعوب الأخرى. (Picard, 1961, pp 145-147).

وتعد الأسماك من المواد الغذائية الهامة خصوصا بالنسبة للفقراء وذلك لكثرتها بالسواحل التونسية من بوري، وقاروص، و سمك موسى، والتونة التي اشتهرت بها بلدة مسيوة "Missua" "سيدي داود حاليا"، وكانت توجد مخازن لتمليح السمك بالبيبان "Biban"

"في الجنوب"، وعلى طول كل ساحل مزاك "Byzacene"، وكان الخمر المشروب المفضل والمحبب لديهم. (Picard, 1961, p148).

كانت المنازل القرطاجية بسيطة جدا وضيقة، لذلك كانت تزدحم بالسكان فكان من الممكن أن تضم الحجرة الواحدة أسرة كبيرة تفتش أرضها عند النوم، ولكن منازل الأثرياء في حي ميغارة "Megara" كانت تدل على الترف والثراء الفاحش وروائع الفن، فترى في هذه البيوت آثار الحضارتين المصرية والإغريقية. (الطويل، 1955، ص ص 20-21).

لم تكن المنازل القرطاجية تضم دائما أثاثا كثيرا، وفي بيوت الطبقات الأفقر تم العثور على القليل من الجرار الكبيرة فقط، وكانت تستخدم بدلا من الدواليب لحفظ الطعام وحتى الملابس، ولقد كشفت التنقيبات الأثرية الحديثة عن مساكن معاصرة للحروب البونية كانت تحتوي على جرة كبيرة تقف في وسط الغرفة الوحيدة، ومما هو جدير بالذكر أن الأدوات القليلة المنزلية الضرورية التي كان يحتاج إليها الناس الفقراء كانت جميعها مصنوعة من الفخار مثل: الموقد، وتم استخدامه من أجل الطهي والتدفئة في أيام الشتاء الباردة. (Picard, 1961, pp142-143)، وكانت البيوت تضاء في الليل بمصاييح فخارية شبيهة بالفناجين المسطحة، ولها عنق أو عنقان يدخل فيهما الفتيل. (تسيركين، 1988، ص 76).

كانت الجرة تستخدم في حمل الماء، و مثل الفخار السند الرئيسي للبيت القرطاجي لأنه رخيص وسهل الاستبدال، أما الفئة الأكثر ثراء فكانت تستطيع اقتناء السجاد والستائر، بالإضافة إلى الصناديق الجميلة من خشب الأرز، وفيها يتم حفظ المجوهرات ومن المحتمل أن رب الأسرة كان ينام عليها، وفي يوم ما يصير هذا الصندوق تابوت لصاحبه عند مماته. (Picard, 1961, pp 145-146).

وكانت بيوت الأثرياء بقرطاج مجهزة بحمامات خاصة للسباحة، وكانت هناك أيضا حمامات عامة منها ما كان مخصصا للطبقة الأرستقراطية ومنها ما كان مفتوحا لعامة الناس، وكلا من الرجال والنساء استخدم العطور وقد وجدت بجميع القبور قناني صغيرة معدة لحمل العطر. (صفر، 1959، ص 162).

ولقد أثمرت الاكتشافات الأثرية أيضا على الكثير من المحكات للجسم من البرونز، والتي كانت تستخدم لتخليص الجسم من العرق والأثرية بعد حمام ساخن، كما كانت المواد العطرية تذاب في الزيت لتحل محل الصابون. (Picard, 1961, p131).

وكان معظم الرجال البالغين يرخون لحاهم، ويقون شعرهم قصيرا. (ميادان، 1981، ص77؛ والطويل، 1995، ص19). ومع ذلك كان القرطاجيون يملكون شفرات الحلاقة بل كانوا يعتبرونها من الأشياء المقدسة، وكان الرجال والنساء على حد سواء يعتنون كثيرا بشعورهم ويستخدمون أمشاطا من العاج التي وجد الكثير منها في المقابر القرطاجية "ينظر الملحق رقم 1".

واعتقد القرطاجيون، مثل السكان المحليين، بوجود قوة خاصة مركزها شعر الرأس وتتمركز بصفة خاصة في خصلة بأعلى الرأس، وكانت نساء قرطاج فخورات جدا بطول شعورهن التي ضحين بها في حصار "149 ق.م"، لصنع أوتار القسي اللازمة للحرب وكن يستخدمن دبابيس للشعر من العاج أو العظم لشد شعورهن. (Picard, 1961, pp131-133).

وفي القرن السادس قبل الميلاد اتبعت المرأة القرطاجية الموضة المصرية، حيث الشعر كان مسترسلا على الظهر وراء الأذن، وكان ينسدل في خصلات سميكة على جانبي الوجه، وفيما بعد التزمت بالطرز الإغريقية. (Picard, 1961, p133). أما المرايا القرطاجية، فكانت شائعة الاستخدام ولقد تم العثور عليها في جميع القبور، وهي عبارة عن قرص من البرونز طلي أحد وجوهها بطبقة من الفضة، وكان البعض منها ذو مقبض من الخشب أو العظم أو العاج وبعضها الآخر مزود بثقب، وكان بدون شك مجهز بسلسلة. (ديكريه، 1996، ص104).

ولكن يبدو أن المرايا البونية كانت أقل زخرفة من مثيلاتها الأتروسكية، ولقد اهتمت المرأة القرطاجية بجمالها وزيناتها كثيرا، فكانت تستخدم الحمر للحدود والشفاه، وقد تم العثور على الكثير من أدوات التجميل في المقابر القرطاجية، من ذلك مدهنة الرصاص تنقسم إلى ثلاثة أقسام كل واحدة منها لنوع من الأصباغ كما استخدمت الأصداف أيضا، حيث كان

يتم تثبيت الشطرين معا بواسطة سلسلة من الفضة، وما زالت بعض هذه المحارم تحمل أثر الأصباغ الحمراء "ينظر الملحق رقم 2". (Fantar, 1992, pp179-181).

ولقد استخدمت المرأة أيضا الكحل، كما أكثرن من استخدام الحلبي بشدة مثل الأساور واللؤلؤ والجعلان وأساور من الفضة والعاج، يضاف إلى ذلك الخواتم الفضية والذهبية، وأقراط ذهبية على شكل حرف "T" وعقود الذهب والفضة. (ديكويه، 1996، ص106)، وظل الرجال والنساء مدة طويلة يضعون حلقات في أنوفهم. (جوليان، 1969، ص117).

ومارس القرطاجيون رسم الوشم وهي عادة سكان بلاد المغرب المحليين ولم تكن مجرد زينة أو زخرفة، بل كانت ذات صبغة دينية لأن أشكال الوشم تعني رسوما لرموز إلهية تؤدي وظيفة الحماية من القوى الشريرة. (الناضوري، 1966، ص228)، وكانت أيضا تشير أحيانا إلى أن صاحب الوشم ينتمي إلى جماعة ما، ويبدو أن الوشم القرطاجي كان يمثل المغزى المزدوج للحماية والانتماء. (Picard, 1961, p134).

كما تمسك القرطاجيون بأمناء الملابس التي كانت سائدة في بلادهم الأم حتى نهاية حضارتهم، وكان زيهم شرقيا بحتا، حيث كانوا يرتدون دائما جبايا طويلة من الصوف ذات أكمام، وكان هناك رداء طويل وثقيل يدور حول الرقبة ويشد على الكتفين بأبازيم ويتدلى على الجانبين، كان يستخدم عادة للحماية من البرد والمطر، ولقد وجد أيضا نوعا من الشال يوضع فوق الصدر ويغطي الظهر كلية، أما الأقدام فكان يتم حمايتها بواسطة إما صنادل و أحذية عالية، أو نعالا، وعلى عكس الرجل القرطاجي، فقد استخدمت المرأة القرطاجية الموضات والطرز اليونانية، فمنذ بداية القرن السادس قبل الميلاد بالتقريب كن يرتدين أزياء مطرزة مشابه لتلك التي كانت تلبسها المرأة الأيونية. (Picard, 1961, pp135-138)، وكان عبارة عن رداء قصير الأكمام مشدود عند الخصر، ووشاح ذوي ثنيات تهبط حتى الأقدام تقريبا، وكان القرطاجيون لا يخرجون مكشوفي الرأس، بل كانوا

يغطون رؤوسهم إما بقبعة مخروطية أو بقلنسوة تشبه الطربوش التركي والشاشية التونسية. (ميادان، 1981، ص 77).

وكانوا أيضا يغطون رؤوسهم بضمادة يربطونها أحيانا فوق الجبين ويرخونها على أكتافهم مثلما يفعل المصريون، أو يلفونها حول رؤوسهم في شكل العمامة. (Picard, 1961, p136).

4.I - مكانة المرأة والطفل:

أ- مكانة المرأة:

بعد أن تحدثنا على زينة المرأة وحليها وملابسها، يجب أن نشير إلى وضعها ومكانتها في المجتمع والأسرة القرطاجية.

يبدو أن المرأة القرطاجية قد تمتعت بمكانة عظيمة ومركز مرموق في مجتمعتها، فقد كانت حرة غير مستعبدة ولا محتقرة، فهي تعد ملكة غير متوجة في بيتها ومحترمة لحرياتها واسمها ونسبها، وكان النوميديون يفخرون بمصاهرة نساء قرطاج، ولقد ورد ذكر كثير من النساء ارتبطن بالدولة مثل إليسا "Elissa"، مؤسسة المدينة، وزوجة هسدروبال "Hasdrubal"، التي فضلت أن تلقي بنفسها في النيران على أن تقع أسيرة في يد الرومان، وهناك دليل على شجاعة المرأة القرطاجية وتضحياتها. ففي الحرب البونية الثالثة تبرعن بشعورهن من أجل صنع أوتار القسي، بالإضافة إلى جواهر وحلي تبرعن بها للخزانة العامة، كما شاركن في تصنيع الأسلحة اللازمة، وهناك من يرى أنها كانت تشتغل علنا وتنتج وتدير مؤسسات، وتسافر وتسعى وتقرر. (خير الله، 1992، ص ص 147-149).

وكانت نساء الطبقة الأرستقراطية، اللاتي تلقين الكثير من التعليم، قادرات على أن يصبحن كاهنات صاحبات سيطرة كاملة على موظفي المعبد رجالا ونساء على حد السواء وكانت تدعى "معطا نبعل". (صفر، 1959، ص 121). وهذا دليل على أن المرأة لم تكن ممنوعة من التعليم، حيث كانت سوفونسية "Sophonisba" بارعة تماما في الإنسانيات كما كانت أيضا في الموسيقى، وربما تم السماح لهن بدراسة الفنون، وكان هذا فيما يبدو

على مستوى الطبقة الأرستقراطية في المجتمع، ولا نعرف بوجه الدقة ما إذا كان التعليم متاح للمرأة في الطبقات الأخرى من المجتمع أم لا؟. (Picard, 1961, p 152).

وكان تعدد الزوجات ممنوعا في قرطاج، ويبدو ذلك من طبيعة القبور التي يعود عهدها إلى أقدم الفترات، والتي أعدت بصورة دائمة تقريبا لكل اثنين. (ميادان، 1981، ص 77). لكن عادة الزواج بالأجنبيات كانت منتشرة بكثرة في المجتمع القرطاجي، فقد تزوج كل من هسدروبال وحنبل، عندما كان في إسبانيا بنساء محليات (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص 260)، كما أن والدة القائد القرطاجي هملكار بن ماغون " Himilkar Ben Magon" الذي قتل في معركة هيميرا كانت سيدة إغريقية من سيراكوزة (Herodots, 1942, VII, 166). وكانت الزيجات المختلطة في الطبقة العليا مع الليبيين أمر شائع جدا، مثل سوفونسية التي تزوجت من الملك النوميدي سيفاكس "Scipax". (Harden, 1963, p81).

وكان أبناء هذه الزيجات عامة يعدون في المرتبة الثانية بعد الأبناء المنحدرين من أبوين قرطاجيين، كما لم يكن أمامهم فرص للتقدم والترقي، على أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة وكانت تخضع لبعض الاستثناءات، تشير بعض الدراسات إلى أن الكثير من أبناء هذه الزيجات المختلطة بلغ أعلى المناصب والقادات مثل عائلة آل برقا بعد هملكار برقا "Himilkar Barca"، حيث كانت زوجته إيبيرية الأصل. (Harden, 1963, p81).

ب- مكانة الطفل:

أما الطفل القرطاجي، فقد حظي بعناية كبيرة، ومما يدل على ذلك كثرة النصب والتماثيل التي تمثل الأمومة والاهتمام بالطفل، فعلى سبيل المثال يوجد تماثيل من معبد تينيسوت "Thinissut" يمثل امرأة شابة تستعد لإرضاع طفلها، الذي تضمه بين ذراعيها، كما كان لديهم آلهة مهمتها الخاصة مراقبة الولادة، ويبدو أن الأطفال حديثي الولادة كانوا يتعرضون لعملية الختان وهي عادة استعارها الفينيقيون من المصريين، كما يعتقد

أن القرطاجيين قد أقلعوا عن ممارسة عادة الإحصاء. (Picard, 1961, pp149-150).

وكان هناك اهتمام كبير بتوفير كل ما يحتاج إليه الطفل من أدوات ودمى وأواني خاصة بطعامه وشرابه، فعلى سبيل المثال تم العثور على كثير من زجاجات إطعام الأطفال، وعلى أحد هذه النماذج توجد علامة تانيت "Tanit" على جانبه، ولا بد أنها كانت من أجل حماية الطفل حيث تعد تانيت ربة الخصب والعمليات المتصلة بها من زواج وإنجاب وتورخ هذه الزجاجات من القرن الرابع إلى الثالث قبل الميلاد ومحفوظة في متحف باردو "Bardo" ولقد تم العثور عليها في قبر بوني "ينظر الملحق رقم 3". (khader & Soren, 1991, p45).

ولقد اهتم القرطاجيون بإعطاء الطفل اسم ذو صفة دينية، وكثير من هذه الأسماء كانت تؤكد الاعتماد على الآلهة مثل عبد أشمون "Abd eshmun" "خادم أشمون"، أشمون ياتون "Esmunyatton" "أشمون قد أعطاه"، وهناك أسماء أخرى تشير إلى روابط عائلية مثل هيملك "Himilk" "أخو ملك" بات بعل "Bat baal" "ابنة بعل"، أما اسم حنبعل "هو الذي يتمتع بنعمة وفضل بعل"، ويعنى هسدروبال "هو من حصل على مساعدة بعل" و هملكار هو في الأصل بدون تحريف عبد ملقر "Abd Milqart" "وهب لخدمة ملقرت" (khader & Soren, 1991, p45).

أما من جانب التعليم فكل ما نعلمه أن الطفل القرطاجي كان يرسل في سن مبكرة جدا من منزله لتلقي تعليمه، مع التوصية بضرورة أن يعيش من ثمار علمه وتجنب كل الأفعال المشين، ولذلك يبدو أن التعليم هناك كان عمليا جدا، وكان يهدف إلى تربية الطفل على العيش بواسطة ذكائه وفطنته الخاصة، ويرجح أن هذا النوع من التعليم العلمي كان يعطي بشكل خاص للأطفال الذين كانت أسرهم تعدهم من أجل التجارة والمشاريع البعيدة، ومثال ذلك نجد أن هملكار البرقي كان شأنه شأن بقية كبار قرطاج قد حرص على أن يربي ولده حنبعل خبير تربيته فخصه بمعلمين إغريقيين وكان أبرزهم معلم إغريقي يدعى سولوس

"Sosylos" الأمر الذي مكنه من اكتساب ثقافة واسعة جمعت بين تقاليد ومعارف الفينيقيين والإغريق. (بولعراس، 2015، ص74؛ و فنطر، 1970، ص 78-79) كما أن الأسر الدينية الكهنوتية، على الأرجح، كان لها مدارسها الخاصة داخل نطاق المعابد، وهناك يتعلم الأطفال قراءة والكتابة الفينيقية، والقصائد التي تتناول أساطير الأقدمين وكتاب الطقوس الدينية. (Picard, 1961, p151).

ويشير فنطر إلى اعتماد العديد من المؤرخين على نصوص إغريقية ولاينية ليشبتوا أن القرطاجيين يقدمون أبناءهم قربانا لبعل حمون "Ba' l Hammon" وتانيت، وهو افتراء من وضع أعداء قرطاج، ليدفعوا الناس إلى كره القرطاجيين باعتبارها طقوس وحشية، والواقع أن في قرطاج عقيدة تخص الأطفال الذين يموتون صغارا فهم لا يدخلون في زمرة الموتى العاديين بل هم أطفال أراد الإله استرجاعهم إليه فلا تنسحب عليهم الطقوس الجنائزية العادية بل لهم طقوس مخصوصة منها الإقبار ترميدا، ثم لا تدفن رفاتهم في المقابر العادية بل ترد إلى بعل حمون بدم القوارير الحاوية لرمادهم في أرضه المقدسة، وتقام عليها أنصاب نذرية تسجل الحدث مع طلب يوجه للإله بعل حمون مضمونه أن يمن على الأبوين بطفل آخر يعوض الطفل الذي تم استرجاعه (فنطر، 2007، ص89؛ و مازيل، 1998، ص160).

وفي الحقيقة ما تزال مسألة ممارسة التضحية البشرية في قرطاج محل جدال بين الباحثين إذ انقسموا إلى تيارين، أحدهما يظل على ثقته بما تقدمه روايات الكتاب الأقدمون، ويعدون التوفيت "Topet"، "التعليق رقم 1"، "ينظر الملحق رقم 4" (Harden, 1963, p94)، مخصصا لتقديم القرابين البشرية، والتيار الثاني يرفض هذه الفكرة تماما، وهؤلاء يعتمدون على التحاليل لمحتويات المرادم "التعليق رقم 2"، إذ لم يستطع المتخصصون لحد الآن تحديد سبب الوفاة، كما عجزوا عن معرفة حالة الجسد قبل تعرضه للحرق، وكل ما استطاعوا التوصل إليه أنها جثث أطفال صغار وأحيانا أجنة سقطت نتيجة الإجهاض. (بورونية؛ و طاهر، 1999، ص286).

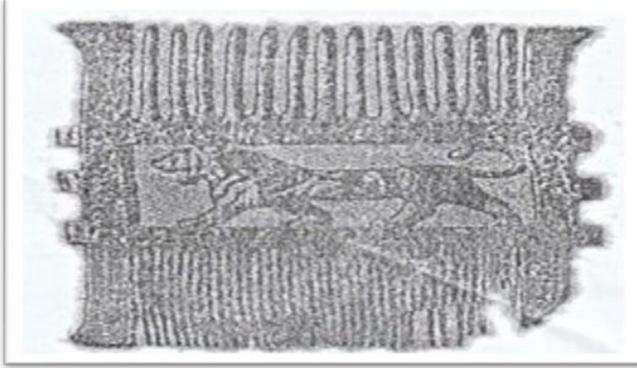
II. خاتمة:

يتبين مما سبق أن المجتمع القرطاجي مدني منفتح يتميز بالحركية والتعايش بين مختلف الفئات حتى أنه لم يعاني من صراع طبقي خطير، إذ كان الغني والفقير يستفيد من ثراء المدينة وازدهارها وإن كان بدرجات متفاوتة، بناء على المقدرات الاقتصادية والوزن الاجتماعي والفاعلية السياسية، ومعنى ذلك أنه مؤطر بقوانين ساهم المواطن في بعثها وتكريسها.

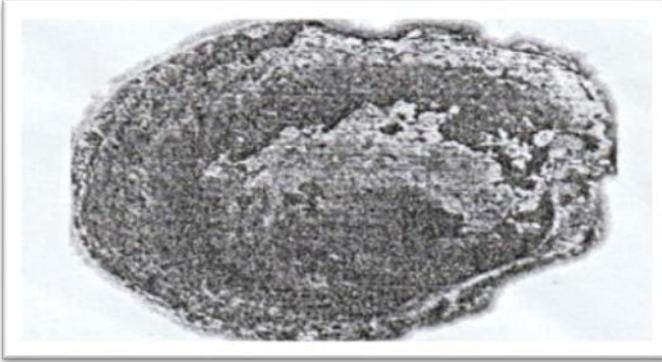
أما الخطر الذي عان منه المجتمع القرطاجي تمثل في الشعوب الخاضعة لاسيما اللوبيين والإبيريين حيث كانت الالتزامات المفروضة عليهم كثيرة وثقيلة، بالإضافة إلى رفض قرطاج وتعنتها في منح المواطنة القرطاجية للشعوب التي كانت تحت سيادتها، هذا واحتك المجتمع القرطاجي بشعوب تكن له العداوة والكراهية والحقد، مما جعلهم يحاولون تشويه صورته في كتابتهم لاسيما الكتاب الإغريق واللاتين، مما قد يضيف بعض الغموض عن الحياة اليومية لهذا الشعب، وفي أحيان أخرى أضفى بعض من البشاعة، خاصة فيما يتعلق بموضوع القرابين البشرية، مما يستوجب توخي الحذر عند الاعتماد على هذه الكتابات.

رغم المعلومات التي توصل إليها علماء الآثار، وما جاء في المصادر الأدبية، والدراسات الحديثة حول ظاهرة التضحية بالأطفال في قرطاج، وعدم خروج هذه الأبحاث بنتائج نهائية، تبقى هذه الظاهرة محاطة بعلامات استفهام كبيرة، ولا يسمح مجال الدراسة لتناول هذه الظاهرة بالنقد والتحليل، كما أن سرعة عرضه ستفقد الكثير من قيمة البحث، وبالتالي سنكون تسببنا في ضرر للحقيقة التاريخية، لذلك فإننا نؤثر أفراد بحث خاص به.

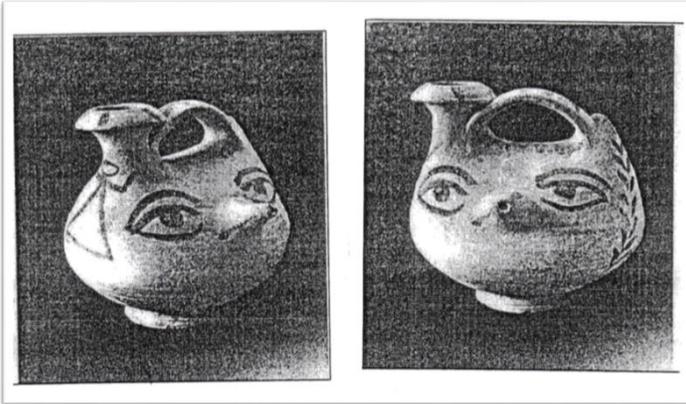
- ملاحق:



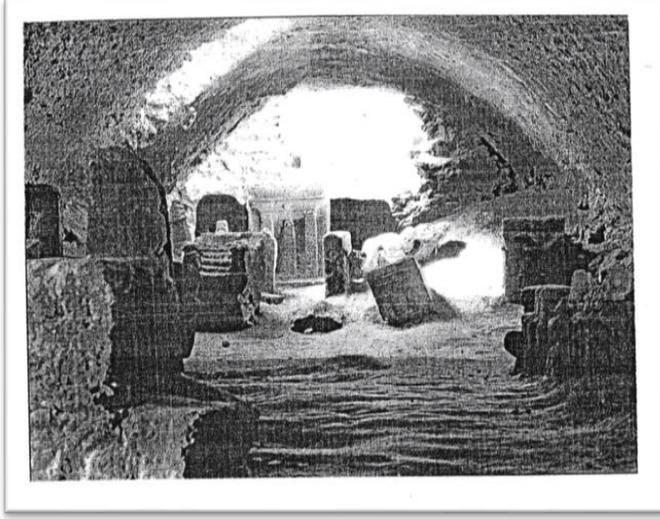
الملحق "1": مشط من العاج
صفر، 1959، ص162.



الملحق رقم "2": مدهنة على شكل محارة ترجع إلى القرن 4 ق.م
-Fantar, 1992, p180



الملحق رقم "3": إناء من الفخار مخصص لإطعام الأطفال الصغار، مؤرخ ما بين 4 ق.م إلى 3 ق.م
-khader & Soren, 1991, p45



الملحق رقم "4": صورة تمثل توفاة قرطاج.
- محمد حسين فنطر، 2007، ص66.

- الشروحات والتعليق:

التعليق رقم "1": التوفيت لفظ قرطاجي بمعنى "المخرقة"، وهو فضاء مقدس تجمع وتصنف فيه المرامد. (المحجوب، 2014، ص124).

التعليق رقم "2": الجرار التي يحتفظ فيها برماد الموتى بعد حرقهم. (المحجوب، 2014، ص124).

- المصادر و المراجع:

أ- المصادر:

- 1- Appian. (1996). **Roman History**, Translated by: H. White, (VIII), New York: C. L.L.
- 2- Herodotus. (1942). **Persian Wars**, Translated by: G. Rawlinson, (VII), M. L. E.
- 3- Justinus .(1853). **Historiae Philippicae**, Translated by: Rev. J.S. Watson, (XII), F. R. H.

ب- المراجع:

- باللغة العربية:

- 1- بريس، ف. ن. (ب ت). القرطاجيون وإمبراطوريتهم البحرية "تاريخ العالم"، تر: عبد الفتاح صدقي، (مج 3)، القاهرة.
- 2- بورونية، الشاذلي ؛ و طاهر، محمد. (1999). قرطاج البونية تاريخ حضارة، أوريس للطباعة: قصر سعيد.

- 3- بولعراس، الحبيب. (2015). تاريخ تونس (أهم الأحداث والتواريخ من عصور ما قبل التاريخ حتى الثورة)، تر: الصادق بن مهني، (ط2)، تونس: سراس للنشر.
- 4- تسركين، يولي بركوفيتش. (1988). الحضارة الفينيقية، تر: يوس أبي فاضل، (ط1)، بيروت.
- 5- توفيق، الطويل. (1955). قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة، القاهرة: مكتبة مصر.
- 6- جوليان، شارل أندري. (1969). تاريخ إفريقيا الشمالية "تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء حتى الفتح الإسلامي 647م"، تر: محمد إمزالي والبشير بن سلامة، تونس: الدار التونسية للنشر.
- 7- خير الله، شوقي. (1992). قرطاجنة العروبة الأولى في المغرب، (ط1)، تونس: مركز الدراسات العلمية.
- 8- ديكره، فرانسوا. (1996). قرطاجنة أو امبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، (ط1)، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
- 9- صفا، محمد أسد الله. (1987). أعلام الحرب "هانيبال"، (ط1)، بيروت: دار النهضة العربية.
- 10- صفر، أحمد. (1959). مدينة المغرب العربي في التاريخ، (ط1)، تونس: بوسلامة.
- 11- فنطر، محمد حسين. (1970). حنبعل، مجلة الفكر، تونس، (2).
- 12- فنطر، محمد حسين. (2007). قرطاجنة الحضارة في قرطاج "تاريخ تونس عبر العصور- العصور القديمة"، (ج1)، تونس: مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية.
- 13- لبيب، عبد الساتر. (1993). الحضارات، (ط12)، لبنان: دار المشرق.
- 14- المحجوب، عبد المنعم. (2018). ليبيا القديمة، تونس: الاتحاد للنشر والتوزيع.
- 15- ميدان، مادلين هورس. (1981). تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، بيروت: منشورات عويدات.
- 16- الميار، عبد الحفيظ. (2001). الحضارة الفينيقية في ليبيا، (ط1)، طرابلس: مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية.
- 17- الناضوري، رشيد. (1966). المغرب الكبير العصور القديمة (أسسها التاريخية الحضارية والسياسية)، القاهرة.
- باللغة الأجنبية:

- 1- Fantar, M.H. (1992). **Tunisie "Terre de rencontres et de Civilisation"**, Seville: édité par l'Agence Nationale du Patrimoine et l'Institut National d'Archéologie et d'Arts.
- 2- Harden. (1963). **The Phoenicians**, London.

- 3- Khader. A & Soren. D. (1987). **Carthage: A Mosaic Of Ancient**, New York: Tunisia.
- 4- Motley, M. (1969), **Africa "Its Empires, Nations And People"**, Detroit.
- 5- Picard, G & Ch. (1961).**Daily Life In Cartage At The Time Of Hannibal**, Translated From By: A.E. Foster, London.